المصدر: الـــــوطـــــن
التاريخ : ١٩٨٦/٢/١٨

حقيقة السادات

رد على الاكـــاذيب
.. وكشف للمستـــور

حريـة الصحافـــة:
تشهير بالماضي وتبشير بالمستقبل!

لم تتمتع الصحافة المصرية في تاريخها بحرية التشهير بالماضي . والتبشير برخاء المستقبل مثلما تمتعت به الصحافة الحكومية طوال السبعينات . فقد منحت اوسع قدر من الحرية للهجوم على الستينات وما قبلها . وكان يقود السادات بنفسه هذا الهجوم في خطبه . واحاديثه ومقالاته .

ومنحت ايضا اوسع قدر من الحرية للحديث عن المستقبل . واغراق الجماهير في الامال وصولا الى سنوات الرخاء .. حيث الثورة الخضراء .. وحيث يملك الفلاح فيللا . وسيارة . وقطعة ارض يزرعها لنفسه!!

ولم يكن مسموحا في الصحف القومية ان تنقد الحاضر . وعندما تصورت ان ذلك ممكنا . هاجمها السادات . واتهمها بالاثارة . والبلبلة . واستغلال معاناة الجماهير . فالمشاكل معروفة . ومدروسة . ونحن نعمل على حلها . فلماذا استغلالها واثارتها .

وعندما الغت الرقابة الرسمية على الصحف عام ١٩٧٥ والتى فرضت بعد إنتهاء حرب ١٩٧٣ .بإبقاء مكتب الرقابة التابع لوزير الاعلام . كما هو واطلق عليه اسم مكتب الصحافة . وظل يملي توجيهاته وتعليماته على الصحف . حول المسموح . والممنوع . ولم يكن من قبيل المصادفة مثلا ان

تنشر الصحف اليومية الثلاث في صدر صفحاتها الاولى مقالات باقلام رؤساء تحريرها هجوما على بلد عربي . او انتقادا لموقف معين . او حتى مدحا لموقف معين واحيانا بنفس الكلمات او المعلومات .. مكتب الصحافة يتولى توجيه الصحف ويحدد لرؤساء التحرير الخطوط التي يسيرون عليها .. كما يحدد الاخبار الممنوعة ..

واتجاه التعليقات ايضا واستمر ذلك قبل وبعد الصحف الحزبية . التي يقول موسى صبري انه عندما رشح رئيس تحرير صحيفة حزبية وهي الاحرار قال للسادات انه صحفى ناجح . وعندما بدات الجريدة تعارض ساله السادات هل هذا هو الصحفي الممتاز الذي حدثتني عنه .. وعندما قرر

حزب العمل اصدار صحيفة امتدح موسى صبري للسادات رئيس التحرير الجديد وانه يثق فيه ثقة

كاملة .. وعندما بدات الجريدة تعارض معارضة جادة غضب السادات وقال لموسى صبري «ده طلع انيل من رئيس تحرير جريدة الاحرار»!

● الحب .. والكراهية!

ولا يمكن مناقشة اوضاع الصحافة خلال فترة حكم فترة حكم السادات دون ان نضع امامنا عدة اعتبارات .. فالسادات نفسه حاول ان يعمل بالصحافة . ولكنه فشل . وكانت عقدة فشله تحكم حديثه وعلاقاته بالصحافة .

والسادات نفسه لم يكن يطيق اي نقد . وكانت موجة النقد قد ارتفعت في صحف المعارضة وامتدت الى الصحافة العربية في كثير من الاقطار . وكان السادات يعرف ان مايكتب عن الفساد في مصر موجه الى نظامه . وكان يخلط دائما بين شخصيته ومصر .. لذلك فقد صور الامر على ان الصحفيين يهاجمون امهم مصر! ووضع من القوانين مايحول دون عمل الصحفيين في الصحف العربية . وحول البعض منهم الى المدعي العام الاشتراكي للتحقيق معه .. وقد وقف وزير الداخلية في جلسة طويلة بمجلس الشعب يوجه الاتهامات للصحفيين بالفاظ يعاقب عليها القانون!

والسادات حاول ان يغير الصحافة من الداخل عن طريق فتح مجالات العمل لجيل جديد من الصحفيين . حيث تضاعف عدد الصحفيين في عهده . وكانت مفاجأة له ان الجيل الجديد من الصحفيين . ليسوا معه . وكان يتصور انهم لم يرتبطوا بالماضي . لذلك فانه سيستطيع تشكيل افكارهم . ولكنه لم يتمكن رغم محاولات بعض المسؤولين عن المؤسسات الصحفية بعزل الجيل الجديد عن الصحفيين القدامى . وتحذيرهم حتى من مجرد التحدث اليهم .

وكانت انتخابات نقابة الصحفيين باستمرار تاتي بنتائج ليست في صالح السادات الامر الذي جعله

يتفرغ بنفسه لادارة بعض المعارك الانتخابية بين الصحفيين . ووضع الخطط السرية للعبور الى نقابة الصحفيين . تماما كما وضعت خطط عبور خط بارليف .. وعبر الى نقابة الصحفيين عن طريق تجاحه احيانا فى فرض النقيب ولكنه توقف بعد العبور .. وكانت تحدث ثغرة دائما وهي ان غالبية اعضاء مجلس النقابة المنتخبة من القاعدة العريضة للصحفيين تاتي من الصحفيين المعارضين .

وكان موسى صبري احد عوامل نسف الجسور بين السادات والصحفيين عندما صور له منذ البداية . ان القاعدة الصحفية من اتباع مراكز القوى ومن اعضاء التنظيم الطليعي وذلك بعد ان سقط في الانتخابات التي خاضها على انها استفتاء على خط السادات ..

والى جانب ذلك كله احساس السادات ان الشارع ليس مقتنعا به .. وانه ينسب عدم الاقتناع به الى الصحافة .. وقد عبر عن ذلك صراحة عندما جمع رؤساء تحرير الصحف وقال لهم «انهم جميعا لا يساوون مليما فصحافة عبدالناصر حولت الهزيمة الى نصر . بينما صحافتي حولت النصر الى هزيمة وكان عبدالناصر يخطب . فيردد الشارع العربي في اليوم التالي كلامه وانا اتكلم كل يوم ولا اثر لما اقوله . ان فشل صحافتي هو الذي جعلني اتولى اعلامي بنفسي»

ولم يعترض رؤساء التحرير . الذين كان يلتقي بهم كثيرا . ويعطيهم دروسا في الصحافة!! .

وكان السادات من اكثر رؤساء الجمهوريات في العالم كله حديثا الى الصحافة وايضا حديثا عن الصحافة!

هذه العوامل التي اثرت في علاقة السادات بالصحافة .. قد كونت في النهاية اغرب علاقة .. الحب الشديد الممزوج بالكراهية الشديدة .

فالسادات يحب الصحافة والتصوير حبا شديدا . ولكنه يكره الصحفيين كراهية شديدة الامر الذي سنلحظه من الاجراءات التي اتخذها ضد الصحفيين طوال سنوات حكمه .

● صحافة الستينات

وعقدة عبدالناصر التي كانت تحكم . السادات . وتتحكم في كل تصرفاته . هي التي جعلت موسى صبري يتحدث عن الصحافة ايام عبدالناصر في كتابه عن السادات فيقول «ان مباحث امن الدولة كانت نشيطة بالنسبة للمؤسسات الصحفية . وقد جندت صحفيين عديدين وموظفين في ادارات الصحف لكتابة تقارير عن كل مايجري في هذه المؤسسات» وايضا «كان فصل الصحفيين يتم بالجملة . وقرارات الوقف عن العمل والمنع من الكتابة تتم تليفونيا» !

وسوف يضحك الصحفيون بل والقراء ايضا على هذا التشخيص حول صحافة مباحث أمن الدولة . التي لم يكن لها دور نشيط في مختلف مجالات الحياة المصرية الا ابتداء من النصف الثاني من السبعينات . عندما حكمت مصر كلها . وليس الصحافة وحدها .. وهو امر رددته صحف المعارضة بوقائع محددة . بعضها وصل الى نقابة الصحفيين وكان من المفروض ان يكون موضع تحقيقات . وبعضها يعرفه الصحفيون جيدا . حتى وصل الامر الى تركيب اجهزة تسجيل للصوت في مكاتب بعض الصحفيين .. ثم تأتي قضية فصل الصحفيين بالجملة .. وايقافهم عن العمل . ولعل موسى صبري متأثر بقضية ايقافه عن العمل بعد المذكرة التي تقدم به صديقه الدكتور حاتم وزير الثقافة والاعلام وقال فيها انه ليس لديه شرف . وطلب فصله من الصحافة فاكتفى عبدالناصر بايقافه فيما عدا ذلك فان وقائع الايقاف عن الكتابة كان محدودا جدا ولاسباب معروفة والحقيقة ان الكثيرين ممن هم على شاكلة موسى صبري يطيب لهم دائما ان يتحدثوا عن صحافة الستينات المكبلة بالاغلال والحديد والنار .

ولم تكن الصحافة طبعا بخير . كما انها لم تكن بهذه الصورة القاسية التي يحاول البعض تصويرها بها .. ولو لم تكن الصحافة حرة في تلك الفترة لما حدث ابعاد لقلة من الصحفيين لا تتجاوز اصابع اليدين

لفترات محدودة من العمل الصحفي .. ابعدوا لانهم كتبوا مالم ترض عنه الاجهزة او حتى عبدالناصر شخصيا .

وهو اجراء خاطىء لا يقره احد .. فالرأي يقاوم بالراي ولكن هذا الاجراء رغم ما يحمله من خطا يظل قرينة تقول ان الصحافة لم تكن مكبلة بالحديد .

وان الصحفيين كانوا يكتبون ما يريدون وان كثيرا مما يكتبون لم تكن بعض الاجهزة التنفيذية ترضي عنهم . وانها قد اتخذت ضد بعضهم اجراءات خاطئة وانفعالية وعنيفة

لقد حدث ايام عبدالناصر ابعاد لعدد من الصحفيين يزيد على المائة من جريدة الجمهورية بقرار من رئيس مجلس ادارتها حلمي سلام الذي عينه المشير عامر ومنحه دعما ماليا قدره ٣٥٠ الف جنيه رغم تعليمات جمال عبدالناصر بعدم دفع اعانات للمؤسسات الصحفية .

ولم يكن الابعاد هذه المرة بسبب ما ابدوه من اراء ولكنه كان في ظاهره لاسباب اقتصادية وقيل تبريرا لذلك ان موسسة دار التحرير تعاني من تكديس الصحفيين خاصة بعد ان ضم اليها صحفيي جريدة الشعب بعد اغلاقها . وكانت الحجة البارزة هي التخفيف على مؤسسة دار التحرير التي تخسر نتيجة زيادة عدد الصحفيين بها وارتفاع اجورهم وهي حجة واهية وظاهرية . وغير حقيقية . والحقيقة ان العوامل الشخصية تدخلت وعملت على ابعاد عدد من الكفاءات تحت شعار التخفيف من الازمة الاقتصادية التي تعاني منها المؤسسة الصحفية

ولان الموضوع غلب عليه الطابع الشخصي . الذي غلف باسباب عامة . فان الصحفيين الذين ابعدوا من مختلف الاتجاهات السياسية فيهم من هو في اقصى اليمين ومن هو في اقصى اليسار ومنهم ايضا من كان في التنظيم الطليعي الذي أنشأه عبدالناصر والذي يقال الان انه ضم رجاله المخلصين ليكتبوا التقارير ضد زملائهم! ولو كان الابعاد سياسيا او بسبب الراي ولو كانت مهمة هؤلاء كتابة تقارير ضد زملائهم لما ابعدوا ايضا عن عملهم في دار التحرير ونقلوا الى وظائف بعيدة عن الصحافة .. ولكنه كما

قلت كان اجراء اقتصاديا تدخلت فيه عوامل شخصية .. وقد اتضح ذلك من الطريقة التي صدرت بها قرارات الابعاد .

استدعي الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الاعلام محمد علي بشير العضو المنتدب بدار التحرير وابلغه ان حلمي سلام سيسافر الى بورسعيد وسيعود بعد شهر ليجد هذه الاسماء مبعدة وقدم اليه قائمة بمائة وخمسين اسما قد نقلوا الى مؤسسات وصدر الامر من الدكتور حاتم وهو الذي اراد ان يتم الامر سرا مما اثار غضبه . عندما علم بتسرب الخبر الى البعض على حد رواية احمد حمروش .

ولقد اهين هؤلاء الصحفيون بابعادهم الى مواقع العمل المختلفة ايا كانت الاسباب . فوزعوا على مؤسسات المضارب والمخابز والاحذية والاصلاح الزراعي وغيرها . وعلى بعض الوزارات ولم يستقبلوا في هذه الاماكن استقبالا حسنا فظلوا دخلاء على هذه المؤسسات غير مرغوب فيهم حتى وان كان احسن استقبالهم وحصلوا على امتيازات وذلك لم يحدث . فان هذه الواقعة تظل مشينة ولو انها لا علاقة لها بأي شيء كتبه هؤلاء الصحفيون او معظمهم مع النظام او ضده .. فقد كان بعضهم من كبار المؤيدين لنظام عبدالناصر ومازالوا ..

واحتج الصحفيون من خلال نقابتهم وكان موقفهم مشرفا في الوقوف الى جانب زملائهم . وشجب كل اعتداء وقع عليهم . واتخذت قرارات ضد رئيس مجلس الادارة . الصحفي الذي قرر الابعاد ولو انه لم يقرره وحده ودون موافقة مسبقة . كما اتخذوا قرارات باخرى بضرورة عودة كل حملة الاقلام الى مواقعهم .

ومن السلبيات ان هذه القرارات ظلت حبرا على ورق ولم يعد اغلب هؤلاء الصحفيين الى مواقعهم الا في عهد الرئيس السادات في محاولة لتجنيدهم في حملة التشهير بعبدالناصر باعتبارهم موتورين ومعارضين من عهده ..

وهناك عدد محدود من الصحفيين منعوا من الكتابة او ابعدوا في الستينات وهم بالتحديد:

● لقد ابعد مثلا فكري اباظة عن عمله في مجلة المصور فترة من الوقت . لانه كتب مقالا يطالب بالصلح مع اسرائيل!

● وابعد موسى صبري بناء على طلب من صديقه الدكتور حاتم كما سبق وكما تشير الوثائق

● ونقل موسى صبري من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية ـ مع الحفاظ على مرتبه ووضعه كاملا لانه كتب مقالا عن محكمة الثورة التي كانت تنظر قضية مؤامرة رجال المشير وكان المقال عن الذهب الذي خباه عباس رضوان في قرية الحرانية وقال عبدالناصر في لقائه مع الصحفيين العرب انه فوجيء بما هو منشور . وان ذلك تحويل للقضية السياسية التي اثرت في مستقبل مصر الى قضية اثارة . فالذهب والنقود كانت ادوات المؤامرة كالجنود والدبابات .. وقال عبدالناصر «محكمة الثورة علنية .. كان من الممكن ان تكون محكمة الثورة سرية في جميع جلساتها ـ ولكننا اردنا ان تكون المحكمة علنية لاننا نعتبر انها عملية سياسية يجب ان يعلم الشعب النواحي السياسية ويجب ان يعلم الشعب ان هناك انحرافات علينا ان نقولها ويجب ان يعلم الشعب ان هناك اخطاء لا بد من تصحيحها كان من الممكن ان نجعلها سرية ولكننا جعلناها على اوسع قدر من العلنية . محكمة الثورة هي محكمة سياسية ـ يمكن الصحافة عندنا حاولت تستغل محكمة الثورة علشان زيادة التوزيع ونسيت ان العملية سياسية اكثر من انها عملية اثارة . يمكن اكثركم يعتقدون ان احنا هنا ماسكين الصحافة ١٠٠٪ ومسيطرين عليها مانة المانة . ابدا انا يوم ماطلعت الصبح ولقيت عنوان احدى الصحف عن الدهب والفلوس استغربت جدا لانه معنى هذا ان احنا بنحول العملية من قضية سياسية اثرت في مصير البلد ولها دروس نستفيد منها على مستقبل البلد الى قضية اثارة ومحاولة اظهار . ان فلان حاول ان ياخذ دهب وفلان حاول ان ياخذ فلوس .

● وابعد انيس منصور لانه كتب مقالا في يوميات جريدة الاخبار عن حاكم مجنون طاغية ايام المماليك ونشرت مع المقال صورة كاريكاتير لجمال عبدالناصر

● ومنع مصطفى محمود من الكتابة لانه كتب مقالا عن فيلم محاكمات نورمبرج اعتبر ان به تعريضا بالنظام وبعبدالناصر .

● و بعد مفيد فوزي وقيل انه حضر اجتماعا في نقابة المعلمين في وقت قالت اجهزة الامن ان المعلمين كانوا يدبرون اضرابا عن التصحيح في الثانوية العامة وينفي مفيد فوزي حضور هذا الاجتماع . وابعد ايضا معه عبدالستار الطويلة لنفس السبب .

هذه هي بالتحديد حالات جميع الصحفيين الذين منعوا من الكتابة لفترات طالت او قصرت ولا يدخل ضمن هولاء مصطفى امين الذي ادين بتهمة التجسس لحساب المخابرات الاميركية

ولاعلى أمين الذى تردد اسمه فى القضية فآثر البقاء في لندن . ولا جلال الحمامصي الذي فضل ان يعمل بالجامعة الاميركية لفترة . وعاد بعد سنوات ليكتب بمناسبة ٩ . ١٠ يونيو يطالب فيه عبدالناصر بالبقاء لانه الزعيم الملهم الذي هو رمز لمصر .

الغى عبدالناصر الرقابة على الصحف سنة **١٩٥٦ وقبل انتخاب رئاسة الجمهورية وقد أشادت الصحف بذلك الموقف ولعل من أبرز** ماكتب فى ذلك الوقت هو مقال علي امين في جريدة الاخبار يوم ٢١ يونيو ١٩٥٦ قال فيه

«اخيرا راينا حرية الصحافة .. لم تعد حلما ولا املا ولا هدفا . ولكنها اصبحت حقيقة واقعة .. اختفى الرقيب من دور الصحف .. اختفى الخوف الذي يجفف الحبر من الاقلام .. اختفت الاجراءات .. الاستثنائية التي كانت تعقد العقول وتعقد الالسنة .. واصبح من حقي ومن حقك ان نمسك في خناق الحاكم ونحاسبه ونخرج له اللسان . ولكنني لا استطيع ان امسك في خناق رجل اخرج الانجليز من بلادي .. ولا اخرج لساني لشاب فتح ابواب المعتقلات وحكم البلاد حكما نظيفا وقضى على الطغيان والرشوة واستغلال النفوذ .. وسلح بلادي **بأقوى الدبابات وأحدث الطائرات .لقدعانيت طويلا من الرقابة على الصحافة**

والغيت مرة ثانية مع سنوات التطبيق الاشتراكي وظلت صحافة مصر بلا رقابة حتى ما بعد حرب ١٩٦٧

اي ان مصر خاضت حرب ١٩٦٧ دون رقابة على الصحف وفى ظل صحافة بلا رقابة **وبعد الحرب** بفترة فرضت الرقابة على الصحف والمجلات

وفي سنة ١٩٦٠ صدر قرار بتنظيم الصحافة وتمليك الصحف الكبرى للاتحاد القومي وفي اليوم التالي اجتمع عبدالناصر برؤساء الصحف . ورؤساء مجالس ادارتها وقال في الاجتماع انه ينوي رفع الرقابه على الصحف ولكن عددا من رؤساء التحرير راى ان تستمر الرقابة لاسباب ابدوها يؤيدون بها وجهة نظرهم .

ولو كانت الصحافة مكممة لا تتمتع بحريتها لما وقف رئيس مجلس ادارة احدى الشركات في مؤتمر الانتاج يشكو من الصحف التي تشن هجوما ضاريا ضد القطاع العام .. فيقول له عبدالناصر واللقاء يذاع على الهواء والناس كلها تسمع «احنا معندناش رقابة على الجرايد والمجلات والامر متروك لرؤساء مجالس ادارت المؤسسات الصحفية وهي وان كانت تابعة للاتحاد الاشتراكي ولكن لكل صحيفة ، ولكل مجلة مطلق الحرية في العمل وفق الميثاق» .

ويواصل عبدالناصر حديثه «انا بقرأ الجرايد والمجلات وبالذات في المجلات فيه حملة تشهير بالقطاع العام لا يرضى عنها انسان» .

وعبدالناصر لم يؤمم الصحف ولم تصبح خاضعة للحكومة وانما نقلها من الملكية الفردية الى ملكية التنظيم السياسي وهو الاتحاد الاشتراكي واطلق على ذلك تنظيم الصحافة...

ويقول محمد حسنين هيكل في مقال نشره في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٥ بجريدة «الاهرام» «انني قد امضيت في العمل الصحفي حتى الان ثلاثا وعشرين سنة أجد من الاشرف لي ان اعمل في صحيفة «مؤممة» تعبر عن مبادىء الميثاق الذي يمثل الفكر الثوري لقوى الشعب العاملة في مصر، والمتحالفة في الاتحاد الاشتراكي من ان أعمل في صحيفة أعبر فيها عن مصالح صاحب ملايين فرد.. او اعبر فيها عن مخططات الحلف المركزي» .

واعتقد ان هذا الرأي الذي قاله محمد حسنين هيكل منذ سنوات هو نفس ما يردده معظم الصحفيين حتى اليوم... الصحافة في ايام عبدالناصر كما وصفها هو بأنها حرة في حدود الميثاق «لكنني لا اقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع رأسمالي.. هذا عمل مضاد للثورة وهذه صحيفة الثورة المضادة» .

هذا هو مفهوم حرية الصحافة التي عاشها مجتمع عبدالناصر قد التزم بالميثاق وأقرته جماهير الشعب فأن الصحافة لها مطلق الحرية، ولكن في اطار المبادىء التي رسمها هذا الميثاق قد يكون خطأ في رأي البعض ولكن ذلك لا يمنع ان التقييم الحقيقي لحرية الصحافة ينبغي ان يتم ضمن هذا الاطار، وفي حدود هذه المفاهيم .

ومن هنا كان نقد القطاع العام بهدف اصلاحه لاهدمه.. وكانت متابعة اخطاء الحكم المحلي وسيلة لدفعه إلى مزيد من العمل الجاد. والقضاء على كل السلبيات والتجاوزات فيه

كانت الصحافة هي التي تحدثت عن ظاهرة الخوف، وطالبت بمجتمع بلا خوف واذكر اننا عقدنا سلسلة من الندوات الصحفية التي نشرت تعالج مختلف الاراء حول هذه القضية لينطلق المواطنون يشاركون بالرأي بلا خوف ولم تمنع هذه الندوات من النشر

وكانت الصحافة هي التي كشفت في البداية عن قضية تهريب الارض وتبنتها بعد ذلك لجنة عليا لتصفية الاقطاع، تتبع الذين تهربوا من قوانين الاصلاح الزراعي وفرضوا على الريف سطوتهم وسيطرتهم .

والصحافة ايام عبدالناصر، هي التي هاجمت زوار الفجر، بل انها هي التي اطلقت هذا الاصطلاح في ذلك الوقت وهي التي كشفت الشركات التي تزور الميزانيات لتدعي انها رابحة، وهي فضحت الذين ارتدوا ثياب العمال والفلاحين وتسللوا الى المجالس الشعبية ليجلسوا في مقاعدهم، وهي التي سلطت الضوء على كثير من انحرافات القطاع العام، وطالبت بايقاظ قانون من اين لك هذا من سباته العميق، وهي التي وقفت تدعم المكاسب الاشتراكية ضد انحرافات الادارة وظلمها وطالبت بمزيد من ديمقراطية الانتاج، وكشفت الاختلاسات في الجمعيات التعاونية والزراعية، وكثيرا ما كانت اجهزة الرقابة تلتقط خيوط عملها من التحقيقات الصحفية والمقالات التي تنشر في الصحف .

يرويها عبدالله امام